في كتاب «عم يتحدثون؟» لمصطفى القباج:

الاحتفاء برواد الفكر المغربي المعاصر

الطاهر الطويل *

■ اختار المفكر المغربي محمد مصطفى القباج أن يجمع عددا من الدراسات والمقالات التي نشرها خلال فترات متفاوتة في دوريات مغربية وعربية، وأن يصدرها بين دفتي كتاب يحمل عنوان «عم يتحدثون؟ نظرات في فكر أعلام من المغرب المعاصر» (205 ص من القطع المتوسط).

منذ البداية، يعلن المؤلف عن الدافع من وراء اصدار هذا الكتاب، قائلا انه لاحظ ـ من خلال رصد ما ينشره الباحثون في رحاب الجامعات على وجه التحديد ـ أن الاهتمام يرتكز على صنف خاص من المفكرين والمبدعين، هم الذين تلتفت اليهم أنظار الأوساط الثقافية، سواء في الفضاء الأوروبي أو في فضاء المشرق العربي، لما يتناولونه من طروحات نظرية تدخل في اطار المشاغل الفكرية أو السياسية الراهنة الآنية، أو الاشكالات المثارة في الأوساط الأكاديمية، وغالبا ما تأخذ بألباب الجمهور الواسع كموضات أو تقليعات، في حين يُهمَل الباحثون والمبدعون الذين يتناولون موضوعات مسكوت عنها أو مُهمَشة، على الرغم من أنها تكتسي أهمية من حيث مضمونها وأبعادها، موضوعات لا تكون وراءها مقاصد ايديولوجية أو دعائية، ولكنها تدخل في صميم معركة بناء الأمم وتفعيل وعي المواطنين.

علال الفاسي

أول مفكر يتوقف عنده محمد مصطفى القباج بالتحليل والتمحيص هو علال الفاسي، عبر استقراء مسألة الحرية في فكره وممارسته. فبعدما يستعرض الاطار السياسي العام الذي تبلور في ضوئه النسق الفكري لهذا الزعيم والأديب، ينتقل الى تبيان المناخ المعرفي والمذهبي الذي مثل روح ذلك النسق، فيشير الى أنه كان مُركَباً من أصلين تراثيين: الملكية والسلفية ـ وخاصة السلفية الجديدة ـ مقرونة بتفتح كبير على ثقافات العصر، سواء ذات الخلفية الايديولوجية الاشتراكية أو الخلفية الليبرالية.

ثم يعكف المؤلف على رصد تجليات مفهوم الحرية لدى علال الفاسي ونظرته اليها سواء قبل استقلال المغرب أو بعد الاستقلال، موضحا أن المفكر الراحل عمد الى القيام بعملية تقويم بَعدي وباستعمال المنهج المقارن بين النظرتين الاسلامية والغربية للحرية، حيث وقف طويلا على المستجدات الفلسفية لعصر التنوير، ابتداء بديكارت وانتهاء بهيغل. ويرى القباج أن علال الفاسي كان يهدف الى التدليل على عدم كفاية النظريات الفلسفية لاندلاع الثورة التحريرية، فهي ـ في تقديره ـ لم تمهد وحدها لقيام الثورة التحريرية، لكن جماهير الشعب التي كانت تحس بالألم وتشعر بضرورة التحرر هي التي اتخذت من أصوات أولئك الكتاب والشعراء مزامير تحذوها الى الزحف المقدس.

ويخلص المؤلف الى القول ان النظرات الاسلامية التي عرضها الفاسي في طيات كتبه المختلفة، جعلت نسقه الفكري نسقا سجاليا وليس نسقا «دوغمائيا»، لاثبات أن الاسلام هو دين الحرية، وهو بذلك يعادل الأنساق الفكرية الكبرى في المشرق وفي المغرب، مما يعطيه حضورا واستمرارا دائمين، وستبقى أفكاره ضمن النماذج المرجعية الكبرى الأصيلة.

محمد المكي الناصري

بعد ذلك، يخصص الكاتب محورا للحديث عن التكوين الفلسفي ودوره في صياغة الفكر التنويري لدى محمد المكي الناصري، مركزا على جانب من المسيرة التكوينية للأستاذ الناصري في مجالات الفلسفة والآداب، وكذا أثر هذا الجانب في فكره التنويري ومنهجه التربوي في المجالات التي عمل فيها؛ وهو ما يوضحه المؤلف على النحو التالي:

ـ في مجال التعامل مع التراث، سلك الناصري طرق التبليغ الواضح، وتناول موضوعاته تناولا متعدد الأبعاد المعرفية، واستعمل في الدفاع عنه الأساليب الفلسفية المنطقية.

ـ في مجال العمل التعليمي، استفاد من تكوينه الفلسفي والبيداغوجي، وأثر فيه أيما تأثير المنهج السقراطي التوليدي وبناء الأقْيِسَة المنطقية ودروس السيكولوجيا، خاصة في تحليل مَلَكات الادراك والذكاء ومركبات الشخصية.

ـ في مجال العمل السياسي، استفاد من دراسة تاريخ وفلسفة الاغريق (البلد الذي أبدع أسس النظام الديمقراطي) وكذا دراسة فلسفات العقد الاجتماعي، ولا سيما فلسفة جان جاك روسو التي كانت هي أساس النظريات الدستورية.

ويتطرق المؤلف الى نظرة الناصري للاصلاح الديني، مشيرا الى أنها قامت على ثلاثة دعائم: دعامة الاصلاح الاعتقادي، دعامة الاصلاح الفكري، دعامة الاصلاح الخلقي.

ويستنتج أن الخلفية الفلسفية في تكوين الناصري وفرت له الأدوات المنهجية والرصيد المعرفي المستعمل في المباحث الفقهية والدينية، مما جعل فكره فكرا تنويريا تحديثيا، وملتزما في الوقت نفسه بصفاء الايمان وعمق الاعتقاد.

عبد الهادي بوطالب

في قراءته لكتاب «العالم الاسلامي ومشروع النظام العالمي الجديد»، يشير القباج الى أن صاحب هذا المؤلَف عبد الهادي بوطالب يعتبر أن العالم الاسلامي كيان خاص مُهيَأٌ للاسهام في بناء النظام العالمي الجديد؛ وأنه يدعو المسلمين الى اقناع الغرب الأمريكي والأوروبي بضرورة الانخراط في الحوار الدولي عملا بمنطق العصر، وبمنطق الغرب نفسه الذي يروج لمفاهيم التعددية والحق في الاختلاف وحقوق الانسان...الخ. ويلاحظ القباج أن بوطالب يحذرنا من اطلاق الأحكام السلبية في حق الغرب، خاصة الأحكام المبنية عن جهل أو المترتبة عن تسرع، باعتبار أن حوارنا معه ينبغي أن يتناول جوانب قوته، دون تصيد جوانب ضعفه أو تحقيرها.

ويتوقف عند التوجه التفاؤلي الذي يسم كتاب عبد الهادي بوطالب، من حيث توقه الى قيام نظام عالمي جديد، من الممكن (رغم كل المقاربات التشاؤمية لدى عدد من المفكرين ورجال الاقتصاد والسياسة) صياغته سياسيا وقانونيا لضبط العلاقات الدولية، بغية جعلها متوازنة ليسود السلم ويتفرغ الناس بعد الملاسنات والمواجهات للعمل التنموي الجاد، اقتصاديا واجتماعيا وفكريا، من أجل اسعاد بني البشر.

محمد عزيز الحبابي

يفرد المؤلف للمفكر الراحل محمد عزيز الحبابي مبحثا خاصا تحت عنوان «من الشخصانية الواقعية الى الشخصانية الغدية»، فيوضح أن الشخصانية ليست فردانية، وهذا ما يميزها أساسا عن الفلسفة النيتشوية والوجودية، ولا سيما شقها «السارتري» الملحد، انها فلسفة الأفراد وقد تحولوا الى شخوص ينصهرون في تركيب حركي ويؤسس الأفعال الأصيلة للشخص وأهمها تجاوز الذات الفردية نحو الآخرين.

ويلاحظ أن الحبابي يعتمد في البرهنة على واقعية شخصانيته على السيكولوجيا والسوسيولوجيا؛ هذان العلمان اللذان يحاولان صياغة الواقع واجَراء التجارب والتحقيقات عليه. ويضيف قوله ان الشخصانية الواقعية تريد أن تكون التزاما وتربية، تقوم على تدخل فعال ليستيقظ الانسان الجاثي في أعماق كل كائن. ويشير الى أن الحبابي دعا الى بعث جديد للشخصانية الاسلامية عن طريق مراجعة شاملة لواقعنا قصد فهمه وتغييره، وذلك من خلال بُعد مجتمعي ثقافي يأخذ بعين الاعتبار ما وصلت اليه الحضارة من تقدم،

وبُعد آخر ابداعي مستقبلي تُجنَد من أجله كل الطاقات لتحرير الشخص، حتى يتفتح شعوره على كل الآفاق.

أما في ما يتعلق بمواصفات «فلسفة الغد» التي كان يحلم بها محمد عزيز الحبابي فهي ـ كما يحلل القباج ـ فلسفة يكون مضمونها عبارة عن تركيب لكل المعارف، وبهذه الصفة تتوارى النسقية المغلقة، كما أنها تأخذ مصداقيتها من حضورها الفعلي في العالم، ووعيها بمحدوديتها، وهي كذلك فلسفة لا تستوعب وقائع التطور الحالي فقط، بل وتعطي أيضا لهذه الوقائع معنى يدمجها في انعاش مجموع الناس، اضافة الى ذلك، على فلسفة الغد أن تستهدف التضامن الكوني، وأن تحفز الناس على أن تكون تصرفاتهم تأخذ بعين الاعتبار البعد الكوني. وما يصدق على الأشخاص يصدق على الدول.

عقب ذلك، ينتقل المؤلف الى تحليل الجانب الابداعي لدى الحبابي من خلال ديوانه «بؤس وضياء». ويقول بهذا الخصوص: ان الفلسفة الشعرية أو شعر الفلسفة عند الحبابي ضَرْبٌ من الشيء الذي تحيط به عناية الفكر، انه المادة الأدبية لمنقولات العقل، ومنبع الانطلاق، فمن الحرية ومقابلاتها لكل وضع غير مشروع، ومن الأمل الذي يختفي ليظهر من جديد، نحاصر البؤس فنحجب عنه النور. من هذا كله، يتشكل الانفراد الأدبي عند الحبابي. ومن جهة أخرى، يذكر أن التغني بالانسانية وحبها قد ساد في الديوان سيادة جعلت منه قصيدة موحدة.

عبد الكريم غلاب

يتأسس منظور عبد الكريم غلاب للثقافة والمثقفين ـ وفْقَ تحليل محمد مصطفى القباج ـ على أن الثقافة هي الحياة، وأن المثقف حي ما دام ارتباطه بالثقافة يتطور بتطورها ذاتها، ليكون عمله نتيجة اجهاد ومجاهدة واستبطان واعمال فكر وقلب وضمير، مما يعني أن الثقافة عمل وفكر ومسؤولية وقيمة نضالية في سبيل الحرية. ويؤكد المؤلف أن غلاب نفسه يجسد العلاقة بين الثقافة والحرية، فتجده في كل صعيد وفي كل لقاء حريصا على أن يكون حراً في التعامل مع أفكار الآخرين. ثم يبدي القباج ملاحظة في شكل سؤال، اذ يستفهم عن موقف غلاب من طروحات «غرامشي» المتعلقة بالمثقف العضوي. ويقول: لا أدري هل استوعب صاحبنا هذه الطروحات، لأنه لو استوعبها لأدخل الكثير من النسبية على ما قاله بصدد العلاقة بين الثقافة والسياسة من جهة، وقضية الثقافة والاندماج من جهة أخرى. ويختتم بالتأكيد على أن غلاب مثقف ملتزم «تعلمنا على يده، طيلة عقود عدة، ما معنى النضالية الفكرية، وأدركنا جدوى العمل الثقافي، سواء في اطار الاجتهاد الشخصي أو في اطار العمل الجمعوي»، على حد تعبيره.

مرثيات

يضم كتاب «عم يتحدثون؟» في صفحاته الأخيرة مرثيات سبق للمؤلف محمد مصطفى القباج أن ارتجلها أو صاغها عند رحيل بعض الأعلام المغاربة، ومنها نجتزئ العبارات الدالة التالية:

ـ قاسم الزهيري: «كان يلاحق الأحداث والأفكار والمهام بنظرات فاحصة تنم عن فكر غير متساهل، لا يستكين ولا يقتنع بيُسر».

ـ محمد أبوطالب: «كان يفضل الفعل على الكتابة، كان يميل ميلا شديدا الى ثقافة الفعل لا الى ثقافة المكتوب والمقول، لايمانه بأن تغيير الواقع يأتي بالفعل المؤثر لا بالكلام والوعظ».

ـ محمد القاسمي: «كنا نحس بأن لوحاته تتضمن قلقا وجوديا، ليس مرده الى أزمة أو قلق شخصي، وانما الى رغبته الملحاحة في الارتقاء بوجوده الى الوجود الفاعل وذي الدلالات القوية».

وعَوْداً على بدء، يمكن القول ان القباج باصداره هذا الكتاب، يكون قد احتفى بثماني علامات بارزة في الثقافة المغربية، وبذل جهدا محمودا في ايفائها بعض ما تستحق من التقدير والعرفان بالجميل.

* كاتب من المغرب

مؤسسة «المورد الثقافي» تصدر كتابا جديدا عن فن الادارة الثقافي وتواصل برامجها الفنية

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمود قرني:

في اطار نشاطها الثقافي المكثف تقدم مؤسسة «المورد الثقافي» كتابا يعتبر فريدا من نوعه في الادارة الثقافية، وهو الكتاب الذي قالت عنه المؤسسة أنه يلبي حاجات عملية موجودة في الواقع العربي.

الكتاب صدر عن دار «شرقيات» للنشر والتوزيع بالتعاون مع مؤسسة المورد تحت عنوان «الدليل الى الادارة الثقافية»، ويعتبر الكتاب مصدرا جديدا من مصادر نقل المعرفة بالادارة الثقافية الى المشتغلين الجدد بهذا المجال داخل المنطقة العربية.

وحسبما تقول المورد فانه أيضا يمثل مصدرا معرفيا باللغة العربية يمكن أن يعتمد عليه المهتمون والعاملون بهذا المجال للاجابة على التساؤلات التي يطرحها العمل الثقافي في الواقع العملي. والكتاب شارك في تأليفه عدد من المختصين هم الجزائري مخلوف بوكروح، واللبنانية حنان الحاج علي، والفلسطينية مارينا برهم، والمصرية بسمة الحسيني وهي في الوقت نفسه مديرة مؤسسة المورد الثقافي.

يتضمن الكتاب مقالات ونصوصا كتبها مؤلفوها حول مجموعة من الموضوعات الماسة بالشأن الثقافي من بينها موقع الثقافة في المجتمع، السياسة الثقافية، ادارة المؤسسات والمجموعات الثقافية، ادارة المشاريع الثقافية والشبكات الثقافية.

وتقول مؤسسة المورد ان هذا الدليل شارك في تقديم دراسات حالة ونماذج عملية لبعض ممن شاركوا في برنامج لتدريب المدربين يشتمل على ثلاث دورات مترابطة في الادارة الثقافية ونتج عن هذه الدورات تخرج اثني عشر مدربا في ايلول (سبتمبر) 2005.

وقد توافق صدور الدليل مع انعقاد الورشة التدريبية في الادارة الثقافية لشمال افريقيا التي أقيمت في المغرب، بالتعاون مع مؤسسة الفعل الثقافي في مراكش، في الفترة من الخامس عشر وحتى الحادي والعشرين من ايلول (سبتمبر) الماضي بمشاركة 16 مشاركا ومشاركة من المغرب والسودان ومصر وليبيا والجزائر.

في الوقت نفسه أعلنت المؤسسة بالتعاون مع مؤسسة «مكان» بالأردن عن اقامة ورشة تدريبية في مجال الادارة الثقافية في عمان.

وأعلنت المؤسسة أن اللغة العربية هي اللغة المستخدمة في الورشة، ويقوم بالتدريس مختصون في الادارة الثقافية من الوطن العربي، وتتناول الورشة موضوعات السياسات الثقافية وادارة المؤسسات والمجموعات الثقافية وادارة الانتاج الثقافي والفعاليات.

الجدير بالذكر أن المؤسسة قصرت المشاركة في هذه الورشة على مواطني فلسطين، الأردن، سورية، لبنان، العراق ودول الخليج وشبه الجزيرة العربية.

في الوقت نفسه ترعى المؤسسة معرض الفنانة «سحر درغام» الذي تم افتتاحه بمعهد غوته بالقاهرة تحت عنوان «اصداران للثقوب».

وسحر درغام فنانة سكندرية تقوم بتدريس الفن في كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية، وهي تعتقد أن الفن الحقيقي هو الفن اليومي الذي يصدر من مراقبتنا للحياة اليومية، ويعتبر معرض «اصداران للثقوب» ممثلا لمعالجتين تقدمان موضوعا واحدا، الثقوب «الحفر»، وما لها من عمق، حيث يمثل العمق دائما الغموض.

وسحر درغام هي احدى الفائزات في برنامج المنح الانتاجية للمشروعات الابداعية للشبان والشابات العرب لعام 2005 الذي تقدمه مؤسسة المورد الثقافي، ويعتبر المعرض تتويجا لهذه المنحة بالتعاون مع غاليري مشربية الذي تديره الايطالية «استيفانو انجرانوا» ومعهد غوته بالقاهرة وسوف يستمر المعرض حتى نهاية عيد الفطر.

وكانت مؤسسة المورد قد رعت برنامجا فنيا تستمر فعالياته طيلة شهر رمضان وحتى حلول عيد الفطر تحت عنوان «حي، من الموال الى التراب» وذلك على مسرح الجنينة الذي تملكه المؤسسة داخل حديقة الأزهر.

وقد تضمن البرنامج الغناء الشعبي والموسيقى الشرقية والأندلسية والجاز وموسيقى الفيوجن والراب وذلك بداية من الثالث عشر من شهر رمضان حتى السابع والعشرين منه.

وقد توسط برنامج «حي» أربع حفلات موسيقية تطلق فيها الألبومات الجديدة لأربع فرق موسيقية وغنائية جديدة تحت عنوان «أصوات الشرق الجديدة»، والألبومات من انتاج شركة أنكو جنيتو في لبنان، وقد وزعت المؤسسة على الجمهور اسطوانات مجانية من أعمال هذه الفرق الأربع:

«الدور الأول»، «شرقيات»، «رياض عبدالجواد» وفرقته، وفرقة «مزيكا بس» وتضمن برنامج «حي» ايضا الحفل الأول في مصر لفرقة «صابون» وهي الفرقة التي أسسها مؤخرا الموسيقي اللبناني الشاب «زيد حمدان»، كذلك شاركت الفنانة الجزائرية «كريمة نايت» واستضافت فرقة صابون في حفلها عددا من مغني الراب العرب، وكان من المقرر أن يقدم هذا الحفل أثناء العدوان الاسرائيلي على لبنان لكنه تأجل بسبب ظروف الحرب. أيضا قدم البرنامج حفل «البنت المصرية» لفرقة الاسبانية «ميوزيكا أنتيجوا» التي تزور مصر بدعوة من السفارة الاسبانية وتشارك الفرقة في البرنامج بهذا الحفل الذي يتضمن مقطوعات وأغاني شرقية وأندلسية، بالاضافة الى مقطوعات مشتركة مع موسيقيين مصريين من جيل الشباب.

ومؤسسة المورد الثقافي مؤسسة حديثة نسبيا في مصر لكنها الفرع الاقليمي لمؤسسة غير ربحية تحمل الاسم نفسه مقرها بلجيكا.

وتسعى ـ حسبما تعرف نفسها ـ لدعم الابداع الفني في العالم العربي وتشجيع التبادل الثقافي داخل المنطقة العربية ومع بلدان العالم، ويستند المورد الثقافي الى تقدير القيمة المتجددة للتراث الثقافي العربي، في تنوعه، والى الادراك بأهمية ظهور ابداع عربي جديد يحرر المخيلة ويحفز على التقدم كما يؤمن بأن النشاط الفني والأدبي ضرورة اجتماعية تستلزم الدعم المادي والمعنوي من القوى الفاعلة في المجتمع.

ويقوم نشاط المؤسسة على عدد من المبادئ العامة الاسترشادية حسب البرنامج المعلن، هي احترام جميع أشكال التعبير بغض النظر عن الدين والعرق واللون والطبقة الاجتماعية، واللغة، والمساواة بين الجنسين في جميع أنشطة المؤسسة وفي هياكلها التنظيمية والادارية المختلفة، وتضامن المبدعين العرب الذي يمارسون عملهم تحت الاحتلال أو الاعتداء العسكري، وأخيرا الانتباه الى المشروعات الابداعية التي تأتي من قطاعات المجتمع المحرومة اقتصاديا وسياسيا.

«مشرط» كمال الرياحي: إعادة كتابة التاريخ برؤية مغايرة

هادي دانيال *

■ تؤكّد رواية "المشرط" التعدّدية الابداعية لمؤلفها التونسي كمال الرياحي , بدءا من غلافها الذي يحمل لوحة زيتية من رسمه و تضمينها صفحات تحمل لوحات لرسّامين عالميين و اعتماد فنّ الكولاج و جعل أحد شخوصها رسّاما وصولا إلى الهاجس الشعري الذي تجلّى في اللغة المجازية تارة و في تضمين المتن السردي مقتطفات من شعر أدونيس خاصة ,ناهيك عن تصديرها ببعض شعر الماغوط و شارل بودلير (و لعلّ في استحضار شاعرين سوريين و غيرهما من تلك الربوع إشارة إلى رحلة ابن خلدون مواطن الكاتب التونسي و أحد شخوص الرواية إلى بلاد الشام في ركاب تيمور لنك) أما مشرط الناقد كمال الرياحي فقد تخفّى وراء استعراض تطبيقي /غير نظري لوعيه العميق و معرفته الواسعة بتقنيات بناء النص السردي و أساليب كتابته ,و لن نسهب في الإشارة إلى انعكاس مهنته كصحفي في مقتطفات الصحف التي أوردها ,و لكن الأهم هو سطوع موهبته في مزج ما تراكم في الذاكرة و الوعي الفني من تقنيات و أساليب مزجا كيميائيا دقيقا فبدت اللغة و تقنيات البناء السردي ,إلى جانب ابن خلدون و خديجة ,بطلين بارزين في هذا العمل الصادر مؤخرا عن دار الجنوب للنشر بتونس ,في سلسلة "عيون المعاصرة". فالمتأمّل يعترضه الوصف الكلاسيكي متناغما مع السرد التقريري, و التصوير الغرائبي موازيا الواقعي ,و الالتماعات الرومانسية تخترق واقعية ميلر السوداء ,و تقنية القصّ الأناجيلي تتضافر مع تقنيات التناص و الاقتباس المتعمدين إلى جانب التقنيات البصرية , لكن قوّة موهبة الرياحي و وعيه العالي بأسرار الفن الروائي جعل القارئ مفتونا بتموّج هذه الأساليب و التقنيات و كأنّه إزاء تلقائية تحفر مجراها ,و تجبر القارئ على تتبعها لاهثا ,مما يؤكّد توفّر هذا العمل على واحد من أهم شروط نجاح العمل الروائي الذي يستخف به النقاد المتقعّرون و هو عنصر التشويق .

هذا من حيث المبنى الذي كان ينبض بالمفارقات الساخرة و يزهو بإهاب هو ضرب من تنسيق الأزهار السوداء .

أما من حيث المعنى ,إن جاز المصطلح , فإنّ المشرط أو (من سيرة خديجة و أحزانها) فهو عمل من تلك الأعمال الروائية المعاصرة التي تأخذ على كاهلها مهمّة إعادة كتابة تاريخ الشعوب و الأوطان القديم و المعاصر من منظور شعبي أو مغاير ,لأن هذا التاريخ يكتب عادة من وجهة نظر الطبقات السائدة و الحاكمة ,و لذا تكون الكتابة هنا نقدية , و تحرص على الكشف و النسف مستهدفة اليوتوبيا و الأيقونة و المسكوت عنه و كل ما يتعلّق بالثالوث المحرّم باطنه و ظاهره .

و لئن كان يؤخذ على كمال الرياحي في روايته أنه بدا عبثيّا في تعاطيه مع الجانب السياسي من الواقع الذي يؤسطره ,و هنا لا أعني اتكاءه إلى الأسطورة في إعادة بناء الواقع ,حيث كثيرا ما يساوي بين الضحية و الجلاّد على المستوى الوطني أو على مستوى صراع المجتمع المعني مع قوى خارجية استعمارية تحديدا ,واقعا هو و شخوص روايته و مواقعها و دلالاتها تحت جموح سخرية مرّة جارفة ,فإنّ ما يغفر له تجرّده من التعاطي النبيل مع الضحايا هو ذلك الحبّو التعاطف الذي يتبنّاه قارئه مع الشخصيات المهمّشة , التي كأنّ كمال الرياحي يروم أن يكون صوتها الصارخ فنيّا أيضا .

إنّه عمله الروائي الأوّل ,لكنّه خطوة واسعة و واثقة على مسار يعد بالمفاجآت المدهشة ,و حجر أساس لعالم روائي نرنوه متفرّدا .

* شاعر وصحافي سوري

قصيدتان

سامي مهدي*

اللحظة التائهة

قد تفاجئنا الذكرياتْ
قد تحاصرُنا موجةٌ من حنينْ
قد نُقلِّبُ أوراقَنا وتصاويرَنا ونعدُّ السنينْ
قد نلينُ ونأسفُ، لكنّنا بعدَ حينْ
سنقولُ لأنفسنا : إنَّما فاتَ فاتَ،
ومن ماتَ ماتَ،
وتلكَ بقايا قذىً عالقٍ بزوايا العيونْ.
فالذي كانَ كان
وما لم يكنْ لم يكنْ،
والزَّمانْ
لحظةٌ تُستعادُ وتُقطَعُ،
أو تتلاشى رويداً رويداً كما يتلاشى الدخانْ.
يضحكُ البيتُ ثانيةً تحتَ شمسِ الصباحْ
والعصافيرُ تصدحُ في جَنَباتِ الحديقةِ،
والطفلُ مبتهجٌ بالصداحْ.
كلُّ شيءٍ هنا مثلما كانَ، حتّى السَّماءْ
تتراكضُ فيها الغيومُ الربيعيةُ البيضُ،
حتّى الهواءْ
يلذعُ الوجَنات، وهذا أخوهْ
يترنَّحُ كالقردِ (يضحكُ)
هذا أبوهْ
يقطفُ الوردَ والآسَ،
فاليومَ عيدْ،
وسيأتي الضيوفُ تباعاً،
ويصطخبُ الجيبُ عندَ الضحى برنينِ النقودْ،
وسَيَنْسلُّ في حذرٍ صوبَ دُكّانِ "طه" ..
فقد يكتري منه دراجةً،
فإذا صدَّهُ عافَهُ
واكترى من سواهُ حماراً،
وقد يشتري حزمةً من تصاويرَ،
أو كرةً ...
كرة ؟!
وتنادي امُّهُ، وهْيَ في باحةِ البيت :
"هيا .. لقد نَفِدَ الوقتُ .. يا لاعبونْ!"
ويردُّ أبوهُ :
"أمازحةٌ أنت ؟!"
(تضحكُ)
"لا .. ليس هذا بوقتِ مزاحْ!"
.....
لا مزاحَ إذنْ
لحظةٌ ثمَّ تاهتْ
ولا بيتَ .. لا طفلَ .. لا عيدَ ..
لا شيءَ ممّا رأى غيرُ أشباحِ ذكرى
وقد نَفِدَ الوقتُ،
وانفرطَتْ حلقاتُ السنينْ،
وامَّحى الحلمُ ما بينَ إشراقةٍ وانطفاءْ.

لا عزاءَ لنا ، إنْ أردنا العزاءْ.
عبثاً نبحثُ اليومَ عن زمنٍ لا يعودْ
وفراديسَ مفقودةً في عهودْ
لا زمانَ لها في الزمان ،
وليس لها في المكانِ مكانْ.
فالذي كانَ كان
وما لمْ يكنْ لمْ يكنْ
والزمانْ
لحظةٌ تُستعادُ وتُقطعُ،
أو تتلاشى رويداً رويداً،
على رَسلِها ،
مثلما يتلاشى الدخانْ.

2006/11/14

الطريق إلى الوادي

أدري تماماً أنني قد شختُ،
لكنّي أسيرُ بلا توانٍ ،
أدفعُ الأيامَ قُدّامي
وأتبعُها ،
وذا قلمي أهشّ به عليها ،
وهي تركضُ،
لا حنينَ يقيّدُ الرِّجْلين ،
أو ذكرى تشدُّ إلى الوراءِ ،
فكلُّ شيءٍ صارَ قُدّامي
وصارَ عليَّ أن أسعى إليهِ ،
وإنْ تغيّرتِ الوجوهُ
وشاهتِ الأسماءُ،
لكنّي ، أنا الراعي الأمينَ،
أعلّمُ الساعاتِ والأيامَ
فنَّ السيرِ بين مصائدِ
الألغامِ ،
حتى نبلغَ الوادي
وندخلَ قريةَ الحكماءِ ،
حيثُ الظلُّ والمأوى ،
وحيثُ اللهُ يعلمُ أنني قد
شختُ،
واستَخْلَفْتُ،
إلاّ ما تبقّى من يدٍ تَعْبَى
ومن قلبٍ شجاعٍ
يدفعُ الأيام .

2004 / 11 / 22

* شاعر من العراق